مدرسة الأحزاب

ملخص
المحاضرة الأولى

المحاضرة الاولي

سورة الأحزاب سورة مدنية

تبدأ السورة بقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1)﴾

هذه الآية عظيمة جدًا وتحتوي على العديد من الفوائد:

1. **توقير الله للنبي صلى الله عليه وسلم:**

نرى في هذه الآية كيف بدأ الله سبحانه وتعالى بتوقير النبي ﷺ. **فالله لم يقل "يا محمد"، بل قال: "يا أيها النبي"، وهذا دلالة على مكانة النبي ﷺ عند الله.**

هذا الأسلوب مضطرد في القرآن الكريم، حيث نجد أن الله سبحانه وتعالى يخاطب النبي دائمًا بلقب النبوة، وليس باسمه المجرد.

أما في المواضع التي ورد فيها اسم النبي محمد ﷺ، كقوله تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾،

وقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

فهذا يكون على سبيل الإخبار، وليس النداء المباشر.

ملحوظة أخرى: عندما يذكر اسم النبي ﷺ في القرآن، لا يُذكر مجردًا عن الرسالة.

مثل قوله تعالى:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾

وقوله:﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾.

دائمًا نجد أن اسم النبي ﷺ يقترن بالرسالة: **"اتق الله"**

عندما يقول الله للنبي "اتق الله", قد يشعر البعض بوجود شيء معين.

فلماذا يقول الله للنبي "اتق الله"؟ هل هناك خطأ؟

هنا نتناول احتمالات تفسير هذا الأمر:

الاحتمال الأول: أن المقصود بالأمر ليس النبي ﷺ بشكل مباشر، بل الأمة.

فكأن الله يخاطب الأمة من خلال النبي ﷺ. فعندما يقول الله للنبي "اتق الله", فهو توجيه للأمة كلها بأن تتقي الله. وعندما يُخاطب الكبير، يكون وقع الكلام على الصغير أقوى. فإذا كان الله يُخاطب النبي ﷺ بهذه الجملة، فما بالك بالأمة كلها؟

الاحتمال الثاني: أن النبي ﷺ هو المقصود مباشرة بالأمر. وهنا توجد قاعدة: عندما يأمر الله أحدًا بشيء، **قد يكون ذلك لأحد الأسباب التالية:**

1. أن الشخص لا يفعل هذا الشيء.

2. أن الشخص يفعله ولكن مع بعض التقصير.
3. أن الشخص يفعله بلا تقصير، ولكن التأكيد يكون لزيادة الثبات والالتزام.

إذا أمرت شخصًا ما وهو لا يفعل ما طلبته منه، فهذا يعني أنك تطلب منه أن يبدأ الفعل. أما إذا كنت قد أمرته وهو مقصر في هذا الفعل، فهذا يعد أمرًا بتكميل ما يقوم به بالفعل، أي أنك تطلب منه أن يكمل ما بدأه. وإذا كان الشخص ملتزمًا بما عليه وجيدًا في عمله، فإن الأمر هنا يكون بالثبات والاستمرار على ما هو عليه.

عندما يوجه الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يمكن أن يكون هذا بمثابة تثبيت له على ما هو عليه.

فوائد الأمر

1. التوجيه بالثبات:

- عندما يُقال للنبي "اتقِ الله"، يُشجع ذلك على الثبات والاستمرار في الصلاح.

2. تقبل النصيحة:

- إذا كانت كلمة "اتقِ الله" قد قيلت لأفضل الناس، كيف يمكن أن يستكبر أو يستنكف أحد عن قبولها؟

الآية: **(اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)** تعني أنه يجب عدم طاعة الكافرين والمنافقين في أسلوب حياتهم. علينا أن نكون بعيدين عن أفكارهم، مثل العلمانية والليبرالية، حيث لدينا منهج متكامل في الإسلام يكفينا. نحن لا نحتاج إلى منهجهم في الحياة، بل لدينا كل ما نحتاجه في الإسلام من عقائد وأخلاق وآداب.

أهمية الدين الإسلامي

الآية: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)** تشير إلى كمال الدين ورضا الله عن الإسلام كدين للناس، وهو ما اعتبره اليهود عيدًا لو كان قد نزل عليهم.

الآية: **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)** تجيب على تساؤل لماذا يجب طاعتي؟ الإجابة تكمن في أن الله هو العليم الحكيم، الذي يمتلك العلم الكامل والحكمة، بخلاف سواه من البشر. الله يعلم كل شيء، سواء ما كان أو سيكون، وهو الذي خلق الإنسان ويعرف ما يناسبه.

(مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ).

تبدأ الآية بالتأكيد على أن الله لم يجعل للإنسان قلبين، مما يعني أنه لا يمكن للإنسان أن يطيع الله ويطيع الكافرين في آن واحد. وهذا يوحي بأن الطاعتين لا تجتمعان؛ فإذا كان لديك قلبٌ واحد، فإن طاعتك يجب أن تكون لله وحده، وليس للكافرين أو المنافقين.

الحاجة الثانية التي تشير إليها الآية هي عدم جواز أن تكون الزوجة مثل الأم. في الجاهلية، كان بعض الرجال يستخدمون تعبير "أنت علي كظهر أمي" كوسيلة للإضرار بزوجاتهم أو لمعاقبتهن، مما يعني تحريم العلاقة الزوجية معهن. جاء الإسلام ليكسر هذه العادة ويعاقب على هذا القول بكفارة، مثل تحرير رقبة أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينًا، وذلك لحماية كرامة المرأة.

(وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ): تشير هذه الآية إلى أنه لا يمكن أن يكون شخص ابنًا لك، وفي الوقت نفسه ابنًا لشخص آخر. فالطفل إما أن يكون ابنًا بالنسب أو بالرضاعة، لكن لا يمكن أن يكون ابنًا بالادعاء فقط. هذا هو حكم التحريم الذي نزل بشأن التبني.

(ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ): يؤكد هذا الجزء من الآية على أن أقوال البشر قد لا تكون صحيحة أو عادلة، لكن الله هو الذي يبين الحق ويهدي إلى الصراط المستقيم.

(ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ): هذا يدل على أن العدل هو أن يدعى الشخص إلى أبيه الحقيقي. إذا كان الأب موجودًا، فلا يمكن أن يُدعى الشخص لغير أبيه. إن ادعاء الابن لشخص آخر يسبب اختلاط الأنساب، وهو أمر خطير في الشريعة الإسلامية.

بعد تحريم التبني، تغيرت جميع الأحكام المرتبطة به. فمثلًا، في الجاهلية، كان الابن المتبنى لا يمكنه الزواج من زوجة أبيه المتبنى. لكن بعد تحريم التبني، تم إبطال كل التبعيات المرتبطة به. ومن هذه التغييرات، أمر الله النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالزواج من زينب بنت جحش، طليقة زيد بن حارثة، ليبطل كل عادات الجاهلية ويبين أن الزواج من المطلقة لا حرج فيه.

(فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ).

افترض أن هناك معركة كبيرة وذهب فيها عدد من الأطفال، وبعد سنوات جاء أهل هؤلاء الأطفال وادعوا أن هؤلاء الأولاد هم أبناءهم. فسألوهم: "من ابنك؟" وبدؤوا يحاولون إثبات النسب من خلال الشبه. حاولوا بقدر استطاعتهم، وفي النهاية توصلوا إلى نتيجة معينة، فإذا أخطأوا في النسب فلا حرج عليهم، كما قال الله تعالى: **(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ).** فإذا حدث خطأ في النسب، فلا إثم عليكم، لكن ما تعمدته قلوبكم هو الذي يحاسب عليه الإنسان، والله غفور رحيم .

(النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ):

هذه الآية تحتمل ثلاثة معاني:

1. **حكمه فيهم أولى من حكمهم في أنفسهم:** إذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم حكمًا لك، فتأكد أنه الأفضل لك، فهو أولى بك منك. يحبك أكثر مما تحب نفسك، وهو حريص عليك أكثر مما أنت حريص على نفسك، ويعرفك أفضل مما تعرف نفسك. لذا، عندما يقول لك شيئًا لتفعله أو تتركه، فاعلم أنه لا يوجد ما هو أفضل من ذلك.

2. **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم في المحبة:** ينبغي أن يكون النبي أحب إليك من نفسك، كما جاء في حديث ابن كثير عن عمر بن الخطاب، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين". وعندما قال عمر: "لأنت الآن أحب إلي من كل شيء إلا نفسي"، أكد النبي أن هذا الأمر خطير، فحتى نفسك يجب أن تكون أقل حبًا من حبك له.
3. **ولاية النبي على المؤمنين:** إذا مات أحد المسلمين وعليه ديون، فالنبي أولى بسداد دينه. لو كان النبي صلى الله عليه وسلم حيًا، لكان يسدد دينه، ويقول إنه أولى به من الغريب وأولى به من القريب.

(وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ).

إن الأمهات هنا تعني التوقير والاحترام والتعظيم، وحرمة النكاح. فهي تعتبر أماً في جانب معين، حيث يجب التعامل معها مثل الأم في توقيرها واحترامها وحقها، لكن هذا لا يمتد إلى الخلوة أو العورات. والتحريم هنا لا ينتشر بمعنى أنه ليس من الممكن أن نقول إن أحدًا لا يمكنه الزواج من ابنة الأم، كما في حالة زواج سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من ابنة خديجة رضي الله عنها. فكون خديجة "أم المؤمنين" لا يعني أن بناتها يعتبرن أخوات، إذ إن التحريم هنا يقتصر على جانب معين.

(وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا).

إن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث، وهذا مرتبط بالمؤاخاة التي حدثت بين المهاجرين والأنصار. في بداية العهد المدني، آخى النبي بين المهاجرين والأنصار، وكان الأخ الحقيقي يُعامل كأخ حقيقي في موضوع الميراث. وبالتالي، نزل حكم يوضح أن الأخ الذي تم المؤاخاة معه ليس أخًا في الميراث.

إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ ، فهذا يُشير إلى أهمية المعروف بين الناس. فإذا أراد الشخص أن يُهدى شيئًا أو يكتب وصية لأحد، يمكنه أن يفعل ذلك، ولكن لا يكون هناك ميراث. وربما يتساءل البعض عن الأحكام التي نسخت، فيُقال إن ذلك كان مكتوبًا في الكتاب، مما يعني أن الحكم الأول كان مُدونًا والحكم الثاني أيضًا، وكل ذلك معروف في علم الله.